

أوقات الوَحدة



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: جامعة ٤: ٩-١٢؛ فيلبي ٤: ١١-١٣؛ ١كورنثوس ٧: ٢٥-٣٤؛ متى ١٩: ٨؛ تكوين ٣٧: ٣٤؛ إشعياء ٥٤: ٥.

آية الحفظ: وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعْ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ» (تكوين ٢: ١٨).

قصة رائعة ولكن مؤلمة انتشرت في الأخبار منذ سنوات. سيدة شابة وُجِدَتْ ميتة في منزلها. مع أن الموت ذاته كان حدثًا مأسويًا، إلا أن ما جعل القصة أسوأ هو أن السيدة كانت قد ماتت أكثر من ١٠ سنوات قبل العثور على الجثة. عشر سنوات! ولذلك، كان السؤال الذي طرحه الناس، وهم على حق في طرحه، هو: في مدينة كبيرة كهذه، وفي وجود أناس عديدين ووسائل عديدة للتواصل، كيف يمكن لسيدة، لم تكن متشردة، أن تموت لفترة طويلة دون معرفة أحد؟

على الرغم من تطرفها، إلا أن هذه القصة هي مثال للحقيقة: عديد من الناس يعانون من الوحدة. في عام ٢٠١٦ نشرت نيويورك تايمز مقالة عنوانها (الباحثون يواجهون مرض الوحدة - Researchers Confront an Epidemic of Loneliness). المشكلة حقيقية.

منذ البدء، نحن البشر لم نُخلَقْ لنعيش في عزلة. ومنذ زمن عدن فصاعدًا، وجب علينا بدرجة ما أو بأخرى أن نعيش في شركةٍ مع أناس آخرين. بالتأكيد، جاءت الخطية، ففسد كل شيء منذ ذلك الوقت. سوف ننظر هذا الأسبوع في قضية الرفقة والوَحدة في أوقات الحياة المختلفة، التي قد يكون جميعنا واجهها في وقتٍ ما. وإن لم تكن قد واجهتها، فأنت محظوظ.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢٧ نيسان (أبريل).

الصُّحبة

اقرأ جامعة ٤: ٩-١٢. ما هي الفكرة الرئيسة هنا؟ ما هو مبدأ الحياة الذي يُشار إليه بصفة عامة؟

قليلٌ جدًّا منا يستطيع العيش بمفرده. وحتى إذا كنا وحيدين ونحب الوحدة، عاجلاً أم آجلاً لن نحتاج إلى صحبةٍ وحسب، بل وقد نبحث عنها أيضاً، خاصة في أوقات الحاجة. حقًّا، نحن خُلِقنا لنحيا في مجتمعات وفي صحبة. ما أسعد حظ أولئك الذين لديهم أفراداً من الأسرة قريبة منهم تقدر أن تمنحهم العزاء والدعم، خاصة في أوقات الحاجة. ولسوء الحظ، هناك أناس في كنيستنا، وفي عملنا، وفي المجتمعات التي نعيش فيها، ليس لديهم أحدٌ يلجأون إليه، لا في وقت حاجتهم وحسب، بل ولو للحديث لبعض الوقت في نهاية اليوم. قد يأتي الإحساس بالوحدة في أي وقت. قال رجل غير متزوج: «أصعب يوم بالنسبة لي هو يوم الأحد. ففي أثناء الأسبوع أنا محاطٌ بالناس في العمل. وفي يوم السبت أرى أناساً في الكنيسة. ولكن في يوم الأحد أصير وحيداً».

أية مبادئ يمكننا جميعاً أن نتعلمها من النصوص التالية، خاصة عندما نشعر بالوحدة؟ يوحنا ١٦: ٣٢، ٣٣؛ فيلبي ٤: ١١-١٣.

نعم، نحن بصفتنا مسيحيين لا نعرف حقيقة الله وحسب، بل وحقيقة كوننا قادرين على أن نجتمع معه. ونحن نقدر بالتأكيد أن نستمد عزاءً من قُرب الله منا. ولكن، قُرب الله من آدم في عدن لم يمنع الرب من قول: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ» (تكوين ٢: ١٨). وعليه، عَلِمَ الله أن آدم، مع أنه استمتع بالشركة مع الله في عالم لم تفسده الخطية، كان لا يزال في احتياج إلى صحبة بشرية. فكم بالأحرى إذاً يحتاج الباقون أيضاً إلى صحبة. لابد أن نحترس أيضاً من افتراض أنه لمجرد وجود أناس كثيرين حولنا، إذاً ليس هناك مجال للشعور بالوحدة. حيث يعيش بعضٌ من أكثر الناس وحدةً في مدن كبيرة حيث يتفاعلون غالباً مع الآخرين. فمجرد الوجود بين مجموعات أخرى من الناس لا يعني أنك لا تشعر بالوحدة والغربة وبالحاجة إلى الشركة.

ليس دائماً من السهل تمييز مَنْ يشعر بالوحدة، أو الغربة، أو الرفض، أو بمجرد الألم، وفي حاجة إلى شخص ليتكلم معه، إن لم يكن لغرض آخر. كيف يمكنك أن تسعى مستبقاً للأحداث لأن تصبح أكثر حساسية لأي كانوا أولئك الناس؟

حياة العزوبية

قالت فتاة شابة عن مزايا العزوبية: «مرتان سُنحت لي الفرصة للخدمة في حقل الإرساليات، فاستجبت دون تردد». أما الشخص المتزوج الذي لديه عائلة قد يتخذ وقتًا أطول قليلًا لاتخاذ ذلك القرار، لأنه لا يعنيه هو وحده، بل أيضًا شريك حياته وأطفاله.

ما هي بعض الأسباب الواجبة للامتناع عن الزواج وفقًا لبولس؟ ١ كورنثوس ٧: ٢٥-٣٤.

يعتقد معظم الناس أن الزواج هو إرادة الله لهم. ألم يقل: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ أَدَمَ وَحَدَهُ؟» ومع ذلك، لدينا العديد من الأمثلة في الكتاب المقدس عن أناس عُرِّبَ، بما في ذلك أعظم مثال، يسوع المسيح.

سُئِلَ إرميا ألا يتزوج (إرميا ١٦: ١-٣) وكان ذلك عقابًا صدر على موضع تاريخي مُعَيَّن. لا نعلم إذا رُفِعَ ذلك القيد قط، ولكن من الواضح أن إرميا كان نبيًا عظيمًا بينما كان أعزبًا. أيضًا، لم تَبْدُ الحالة الاجتماعية لحزقيال وكأن لها أهمية عظيمة، مع أن زوجته ماتت فجأة، بل ولم يكن مسموح له أن يندبها، بل تعين عليه مواصلة الخدمة التي عينها الرب له (حزقيال ٢٤: ١٥-١٨). كما كان زواج النبي هوشع أيضًا زواجًا محطّمًا، ولكنه كان قادرًا على مواصلة الخدمة. في حين أن القصة تبدو غريبة لنا، طلب الله منه أن يتزوج بزانية عَلِمَ الله أنها ستترك هوشع من أجل رجال آخرين (هوشع ١-٣). بالنظر إلى الماضي، نرى أن الله يحاول توضيح المحبة الأحادية الطرف التي يَكُنُّهَا لشعب إسرائيل ولنا، ولكن بالتأكيد كان الأمر بالغ الصعوبة وشديد الألم على هوشع أن يصير هو العبرة. في كل من هذه الأمثلة لم تشكل الحالة الاجتماعية أي مشكلة. حيث كان الله مهتمًا بأمانة الفرد، وطاعته، وقدرته على قول ما أراد الله منه أن يقوله. إذن علينا أن نتأكد من أن حياتنا لا تُعَرَّفَ بحالتنا الاجتماعية. سوف تقول لنا أصوات عديدة اليوم أنه إن لم نكن متزوجين، فنحن غير كاملين. ولكن يردّ بولس: «وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ»، بل «قَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ» (رومية ١٢: ١، ٢).

ما هي الطرق العملية التي يمكنك أن تخدم بها غير المتزوجين، سواء كانوا أعضاء في الكنيسة أو غير أعضاء؟

عندما ينتهي الزواج

من بين جميع الطرق التي دمرت الخطيئة بها البشرية، باستثناء الألم الجسدي والموت، ما الذي واجه عواقب مدمرة من جراء الخطيئة أكثر من العائلة؟ وكأن عبارة «عائلة مفككة» كثيرة التكرار على الأرجح. فأى عائلة غير مفككة لدرجة ما؟ إلى جانب الوفاة، الطلاق هو أحد أصعب الأمور التي قد تواجهها أي عائلة. فالأشخاص الذين يخوضون هذه التجربة المريرة يختبرون كافة أنواع المشاعر. ولعل أولها وأشهرها هو الحزن الشديد، الذي قد يدوم من عدة أشهر حتى عدة سنوات بدرجات تختلف باختلاف الأفراد. وقد يختبر البعض الخوف؛ الخوف من المجهول، ومن الأزمات المادية، والخوف من عدم القدرة على التكيف. وقد يمر البعض في فترة من الاكتئاب، والغضب، وبالتأكيد، الوحدة.

أية مبادئ عامة عن الطلاق يمكننا أن نستخلصها من الأعداد التالية؟ ملاخي ٢: ١٦؛ متى ٥: ٣١، ٣٢؛ ١٩: ٨؛ ١ كورنثوس ٧: ١١-١٣.

«على الكنيسة بوصفها واسطة المسيح الافتدائية أن تخدم أعضائها في كافة مجالات احتياجاتهم وأن تعمل على تنشئة كل فرد بحيث ينمو الجميع ويصلوا إلى الإدراك المتزايد في اختبارهم المسيحي. وهذا الأمر يصدق بوجه خاص عندما يواجه الأعضاء قرارات مصيرية تدوم معهم دوام الحياة، مثل الزواج والاختبارات المؤلمة والموجعة مثل الطلاق. عندما يواجه الزوجان خطر انهيار زواجهما، ينبغي أن يبذلا كل جهد ممكن بالتعاون مع أولئك الذين يقدمون لهما الخدمة من الكنيسة أو العائلة، لجلب المصالحة والشفاء تماشياً مع المبادئ الإلهية الخاصة باستعادة العلاقات التي تأذت وتضررت (هوشع ٣: ١-٣؛ ١ كورنثوس ٧: ١٠، ١١؛ ١٣: ٤-٧؛ غلاطية ٦: ١).

وتتوفر المصادر، التي قد تساعد الأعضاء في تطوير وتقوية البيت المسيحي، من خلال الكنيسة المحلية أو منظمات كنسية أخرى. وتتضمن هذه المصادر ما يلي: (١) برامج الإرشاد والتوجيه للخطيئين المزمعين أن يتزوجا، (٢) برامج إرشادية وتعليمية للزوجين مع عائلتيهما، (٣) برامج تعزید ودعم للعائلات التي تفككت وللمطلقين» (الدليل الكنسي للأدفنتست السبتيين، الطبعة التاسعة عشر، صفحة ١٦١).

ما هي الطرق العملية والخالية من الدينونة التي يمكن استخدامها لمساعدة شخص ما يخوض تجربة الطلاق؟

الموت والوحدة

سأل أحدهم مرةً السؤال التالي: ما الفرق بين البشر والدجاج فيما يتعلق بمسألة الموت؟ والإجابة هي أنه، ليس كالدجاج الذي يموت، بل نحن البشر الذين نموت أيضًا، نعلم أننا سوف نموت. أما الدجاج فلا يعلم ذلك. وهذه المعرفة لموتنا الوشيك هي ما تؤثر تأثيرًا كبيرًا على كيفية معيشتنا اليوم.

كما نعلم، جميع العلاقات، بما في ذلك الزواج، تنتهي عاجلاً أو آجلاً عن طريق عدونا الأعظم: الموت. بغض النظر عن الاتحاد الشديد، وبغض النظر عن المحبة الشديدة والصحة المقربة، والوقت الذي قُضي معًا، نحن بصفتنا بشر (لسنا كالدجاج) نعلم أنه عاجلاً أو آجلاً سوف يأتي الموت (إلا إذا جاء يسوع قبل ذلك)، وعندما يأتي الموت، سوف تنفصم جميع علاقاتنا. طالما كان هذا هو مصيرنا منذ الخطية الأولى، وسوف يظل هكذا حتى مجيء المسيح.

لا يخبرنا الكتاب المقدس أيًا من الاثنين، آدم أم حواء، مات أولاً، ولكن بالتأكيد كان ذلك مؤلماً ألمًا شديدًا للآخر، خاصة وأن الموت لم يُفترض أبدًا أن يكون جزءًا من الحياة في البدء. وإن جعلهم موتٌ ورقة واحدة من الأشجار ينوحان، كما رأينا في درس سابق، مَنْ يتخيل ما اختبراه جراء موت أحدهما؟

المشكلة هي أننا معتادون تمامًا على الموت، فنحن نعتبره من المسلمات. ولكنه لم يُفترض أبدًا أن يكون شيئًا نخبره نحن البشر. وعليه، فنحن نصارع حتى هذا اليوم لنفهمه، وأحيانًا كثيرة نفشل في فهمه.

ماذا تعلمنا النصوص التالية عن الموت وعن كيفية صراع الناس معه؟ إشعياء ٥٧:

١؛ رؤيا ٢١، ١٤؛ ١ تسالونيكي ٤: ١٧، ١٨؛ متى ٥: ٤؛ ٢ صموئيل ١٨: ٣٣؛ تكوين ٣٧: ٣٤.

بلا شك أننا لا نواجه حقيقة موت أنفسنا جميعًا وحسب، بل ونواجه حقيقة موت الآخرين أيضًا، موت المحبوبين، وربما موت رفيقنا المقرب لنا. وعليه، عاجلاً أم آجلاً، سوف يواجه العديد منا وقتًا، أو فترةً، للوحدة يجلبه موت شخصٍ آخر. وهو صعبٌ ومؤلمٌ. وفي مثل هذه الأوقات يمكننا، بل يجب علينا أحيانًا، أن نطالب فقط بوعود الله. ففي النهاية، ماذا لنا أيضًا في هذا العالم، عالم الخطية والألم والموت؟

كيف يمكن لكنيستك أن تساعد أولئك الذين تعرف أنهم يعانون من الوحدة جراء موت شخصٍ عزيز عليهم؟

العزوبة الروحية

سيدة شابة اسمها ناتالي كان قد مرّ على زواجها سبع سنوات عندما حضرت، بدعوة من صديق لها، سلسلة كرازية في كنيسة أدفنتستية سبتية محلية. واقتناعاً بما تعلمته، سلّمت قلبها للمسيح واختبرت اختبار الولادة الجديدة، وعلى الرغم من المعارضات العنيفة من زوجها، وأبويها، وحمويها، وحتى جارتها الساكنة بالمنزل المجاور، انضمت ناتالي لكنيسة الأدفنتست السبتيين. كما أنها غيّرت أسلوب حياتها بكل درجة ممكنة ليتناسب وإيمانها الذي عثرت عليه مؤخراً.

وكما يمكنك أن تتخيل، واجهت معارضة شديدة جداً؛ فما جعل الأمر أصعب جداً هو زوجها الذي كان على حقّ يجادل: «لم يكن هذا ما وافقت عليه عندما تزوجنا. أنتِ إنسانة جديدة بالكامل، ولكنني أريد الإنسانية القديمة أن ترجع لي».

وما دامت تعاني لمدة سنوات كي تحيا حياة الإيمان. فعلى الرغم من أنها متزوجة، يمكن أن نطلق عليها «عزباء روحياً».

أي كلمات تشجيعية نجدها في الأعداد التالية لأولئك الذين قد يشعرون أنهم عُزّبَ روحياً؟ إشعياء ٥٤: ٥؛ هوشع ٢: ١٩، ٢٠؛ مزمور ٧٢: ١٢.

توجد أمثال ناتالي في كنائسنا حول العالم أجمع. هؤلاء الناس، رجالاً أو نساءً، هم متزوجون ولكن يذهبون إلى الكنيسة بمفردهم أو مع أطفالهم فقط. قد يكونوا قد تزوجوا بشخص من إيمانٍ مختلف. أو ربما يكونوا انضموا للكنيسة دون شريك حياتهم. أو كانا عضوين في الكنيسة عندما تزوجا، ولكن، لسبب ما، انسحب أحدهما وتوقف عن الحضور، بل وقد يصبح معادياً للإيمان. هؤلاء الرجال والنساء يأتون بمفردهم إلى الكنيسة وإلى وجبة الغذاء بعد خدمة العبادة، أو يذهبون بمفردهم إلى أنشطة الكنيسة الكرازية أو الاجتماعية. ويحزنهم عدم قدرتهم على المساهمة المادية في خدمات الكنيسة بقدر ما يودون، لأن شريك حياتهم لا يوافق على فعل ذلك. فعلى الرغم من أنهم متزوجون، قد يشعرون روحياً بأنهم أرامل.

لعل جميعنا، في وقت أو في آخر، قابلنا أناساً مثل هؤلاء في الكنيسة، وهؤلاء هم في حاجةٍ لمحبتنا ودعمنا.

أية أشياء عملية يمكننا، بصفقتنا عائلة كنسية، فعلها بغرض مساعدة العُزّبَ روحياً الموجدين في وسطنا؟

لمزيد من الدرس: «في وسط ظروف حياة الكد، حافظ أخنوخ بثبات على علاقته بالله. كما ازداد عمله حجمًا وإلحاحًا، زادت صلواته مثابرةً وإخلاصًا. حيث واطب على استثناء ذاته في فترات معينة من المجتمع ككل.

فبعد البقاء لبعض الوقت بين الناس، عاملاً لينفعهم بالتوجيه والعبارة، ينسحب ليقضي وقتًا في خلوة، جائعًا ومتعطشًا لتلك المعرفة الإلهية التي يمنحها الله وحده. مناجيًا الله هكذا، كان أخنوخ يعكس صورة الله أكثر فأكثر. حيث كان وجهه يشع نورًا مقدسًا، بل يشع النور الذي يسطع من وجه يسوع. وعندما رجع من هذه المناجات الإلهية، حتى الأشرار رأوا برهبة مفعول السماء على مَحْيَاهُ»
(Ellen G. White, Gospel Workers, p. 52).

على الرغم من أن قصة أخنوخ هنا مشجعةٌ وهي تعلمنا درسًا قويًا عن أولئك الذين يختارون التمتع بأوقات من العزلة، إلا أن العديد يختبرون عزلةً ليست من اختيارهم. فهم لا يريدون أن يكونوا بمفردهم. نكرر، نعم، يمكننا دومًا الاستمتاع بشركة سعيدة مع الرب، الذي هو كلي الوجود، ولكن أحيانًا نشتاق لصحبة وشركة بشرية. كم من الضروري أن نكون، بصفتنا كنيسة، مستعدين أن نهتم بأولئك الذين قد يكونوا جالسين جوارنا في يوم السبت كل أسبوع، ولكنهم يجتازون في وقتٍ عصيبٍ من الوحدة. وفي الوقت ذاته، إذا كنت تجتاز في مثل ذلك الوقت، جِد شخصًا تشعر بأنه يمكنك الوثوق فيه، من الكنيسة (أو أي مكان آخر)، واعلمه بالأمر. مرات عديدة لا يستطيع البشر معرفة ما يجتاز به شخصٌ ما بمجرد النظر إليه. حيث يسهل على بعض الناس على الأقل الاختباء خلف قناعٍ.

أسئلة للنقاش

١. كيف يمكن لكنيستك أن تتعلم أن تصبح أكثر حساسيةً لاحتياجات مَنْ يشعرون بالوحدة في وسطكم؟
٢. «لَيْسَ أَنِّي أَقُولُ مِنْ جِهَةِ احتِياجٍ، فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ» (فيلبي ٤: ١١). اقرأ السياق الأشمل لكلمات بولس هنا. كيف نتعلم تطبيق هذه الكلمات على أنفسنا؟ وفي الوقت ذاته، لماذا يتعين علينا أن نكون حريصين جدًا فيما يتعلق بكيفية تطبيق هذه الفقرة على شخصٍ بالحقيقة مجروح؟
٣. تحدث في الصف عن وقتًا اختبرت فيه وحدة شديدة. ماذا ساعدك؟ وماذا جَرَّحَكَ؟ وما الذي تعلمته وقد يكون بمثابة عونًا للآخرين؟